



طافت المرأة المكلومة في سوق عكاظ، تندب أخاهَا صخر القتيل، وتبكيه، وتناديه وتذكر كل جميل فيه، فإذا ذكرت أخاهَا معاوية القتيل الثاني انطلق لسانها بالرثاء، والشعراء يستمعون إلى قصائدها وقد أيقنوا أنها أشعارهم وأصدقهم عاطفة وأبلغهم عبارة ويلتقي الناس هذه الشاعرة وهي تطوف حول الكعبة، محلوبة الرأس وقد علقت في خمارها حذاء أخيها صخر، وهي على حالها من الحداد والحزن المقيم.

لم تكن تلك المرأة الشجوب سوى {الخنساء} تماضر بنت عمرو الأسلمية، شاعرة سوق عكاظ المفجوعة في أخيها معاوية وصخر، وقد قتلا في إحدى حروب الجاهلية، تلك الحروب التي كانت تقوم لاته الأسباب، وتأكل الأخضر واليابس، وتفني الشباب والذراري، وتذل النساء وقد غدون مابين سبيّة أو نكلي أو فاقدة أو أرملة، وهاهي الخنساء الشاعرة العربية تنشر دموعها قصائد ندية الأحاسيس، تقطر من دم قلبها الجريح، تعبر عن حزنها بعبارتها البديعة الرقيقة، ولسانها العفيف، وأنفتها الكريمة.

وتمر الأيام وإذا بها تقدم مع قومها من بادية بني سليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتسسلم لله رب العالمين، وتنقلب حالها بعد الإسلام، وقد أشبع قلبها بحب الله ورسوله، واستيقنت نفسها الكريمة إن هذا الدين الكريم حق، وأن هذا القرآن

العظيم ببلاغته وجمال عبارته وحسن خطابه وتنوعه، لا يمكن أن يكون كلام بشر، وقد عرفت وهي الشاعرة البلغة الفصيحة المبدعة، أن بلاغتها تف عاجزة أمام هذه المعجزة الربانية، فاستكانت نفسها لكلمات الله البدعة الطيبة وحسن إسلام النساء، وارتقت بعباراتها الأدبية بما يتواافق مع عقيدتها ودينها القويم وأنطلقت تنشد قصائد الرزينة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوميء نحوها استحسانا لجزالة عبارتها وجميل معانيها قائلا:{هيه ياخناس}

وظلت النساء تبكي أخويها وعلى وجه الخصوص أخاها صخر، وهي تذكر نبله وكرمه وكأنها تطلب من التاريخ أن يعذر حزنها ولو عنتها، وهي ترثي فيه كل حسن جميل.

ولما تولى عمر الخلافة أشار عليه بعض الناس أن ينهاها مخافة أن تداخل نفسها بعض الجاهلية فيقول لها: انتقي الله وأيقني بالموت.

فقالت: أنا أبكي أبي وخيري مضر: صخرًا ومعاوية، وإنني لموقة بالموت.

فقال عمر: أتبكين عليهم وقد صاروا جمرة في النار؟

فقالت: ذاك أشد لبكائي عليهم؛

فكان عمر رق لها فقال: خلوا عجوزكم لا أبا لكم، فكل امرئ يبكي شجوه

ونام الخلي عن بكاء الشجي واشتهرت مقولتها حين عاتبها المقربون لكترة بكائها على صخر وقد أسلمت وهو قد مات على جاهليته فقالت: كنت أبكي له من التأر واليوم أبكي له من النار،

وتحدثنا أوراق التاريخ عن هذه الصحابية الشاعرة الليبية، كيف غير الإسلام نظرتها إلى الموت والحياة، كما غير كل سلوكيات الجاهلية في شخصيتها ولسانها.

ويحدثنا التاريخ عن هذه المرأة المؤمنة الصادقة، وهي تدفع بأولاده الأربع إلى ميدان الجهاد في سبيل الله، وطالبتهم أن يحرصوا على الشهادة ولا ينكصوا على أعقابهم، مذكرة إياهم بثواب الله وشرف الشهادة لهم ولها فتخاربهم قائلة يوم القادسيّة: {يَا بْنَى إِنَّكُمْ أَسْلَمْتُمْ وَهَا جَرْتُمْ مُخْتَارِينَ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّاهُ إِنَّكُمْ لَبْنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ، كَمَا أَنَّكُمْ بْنُو امْرَأَ وَاحِدَةٍ، مَا حَنَتْ أَبْكَمْ وَلَا فَضَحَتْ خَالَكُمْ، وَلَا هَجَنَتْ حَسْبَكُمْ وَلَا غَرَّتْ نَسِبَكُمْ}. وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجليل في حرب الكافرين.

واعلموا أن الدار الباقيه خير من الدار الفانية يقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَأَبِطُوا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: 200].

فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستتصرين.

وإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطربت لظى على سياقها وجللت ناراً على أوراقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة" وتطير أنباء النصر إلى الفاروق فتقر عينه بفضل الله ونصره، ويحمل إلى النساء نبأ استشهاد أولادها الأربع، فتحتسبيهم عند الله، فلا نواح ولا رثاء ولا جزع، بل شكر وفخر ورجاء، فتقول لعم رضي الله عنه وقد جاءها معزيها بهم: "الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربِّي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته".

وفي كل عصر وزمان من عصور الامة الإسلامية ظلت النساء مثلا يحتذى، في الصبر والثبات والاحتساب، حتى يومنا

هذا، وأينما لا يعرف خنساء فلسطين أم الشهداء أم نضال فرحات التي قدمت أولادها شهداء، صابرة راضية بقضاء الله دفاعا عن الأقصى الأسير، أعظم الله أجرها وثوابها إن شاء الله {اللهم إنا نسألك الشهادة بصدق فبلغنا اللهم منازل الشهداء بفضلك يا رب العالمين}

المصادر: